

العربية في جنوب الجزيرة العربية

حتى ظهور الإسلام

الحلقة الثانية

٣- كتابات الزبور

أ.د. رفعت هزيم*

يُعدُّ وادي الجوف الذي يبعد زهاء مئة كم إلى الشمال الشرقي من صنعاء واحداً من الأودية الكبرى التي ازدهرت فيها حضارة اليمن القديم زمناً طويلاً، إذ يحتضن مجموعةً من المدن الأثرية الهامة، ومنها: «نشق» (خربة البيضاء حالياً) و«نشن» (خربة السوداء) و«كمنهو» (كمننا) و«هرم» (خربة همدان) و«قرنو» عاصمة الدولة المعينية (خربة معين) و«يثل» (خربة براقش)^(١). وتقع «خربة السوداء» - وهي مصدر معظم كتابات الزبور - على بعد (١٥) كم إلى الغرب من «الحزم» مركز محافظة الجوف، وقد ورد ذكرها أول مرة في نقش النصر (RES 3945) - الذي يرجع إلى القرن السابع ق.م - ضمن المدن التي دمرها «كرب إل وتر» حاكم سبأ في إحدى حملاته، ثم ورد ذكرها غير مرة فيما بعد في عدد من نقوش المسند^(٢).

(*) رئيس قسم اللغات الشرقية بجامعة اليرموك (الأردن) سابقاً، ورئيس قسم اللغة العربية بجامعة تعز (اليمن) سابقاً.

(١) انظر هذه المواقع في الخريطة الموضحة في نهاية البحث.

(٢) انظر مثلاً النقوش: Ja 555, Ja 642, Ja 665.

- الاكتشاف:

ويبدو أنّ كثرة المواقع الأثرية في ذلك الوادي وعدم سيطرة الدولة على المنطقة في المدة التي تلت قيام الثورة اليمينية جعلها المغامرين ينشطون في البحث هناك عن تحفٍ أثرية مدفونة ليبيعوها للراغبين في اقتنائها، فعثروا عام ١٩٧٠ م في أطلال معبد قديم في «السوداء» على حجرٍ مدفونٍ في التراب نُحِتَ على سطحه شكل ثعبانين ملتويين، فلمّا حفروا ليصلوا إلى القاع وجدوا بعض القطع الخشبية التي تحوّلت فور التقاطها إلى هشيم. ثم عثر الحفّارون على عودين خشبيين سليمان يشبهان سيجار التدخين؛ طول أحدهما (١٦) سم، وطول الآخر (١٢) سم، وقطر كلٍ منهما زهاء (٣) سم، وقد غُطّي كلاهما بكتابة بخطٍ أبجدي غير معروف حُفرت حروفه على الخشب بأداة خاصة. ويظهر أنّ أولى الأمر توقعوا - عندما رأوا ما رأوا - أنّ يكون ذلك علامةً على وجود كنزٍ دفينٍ في الموقع، مستندين في ذلك إلى اعتقادٍ شائع يربط تلك الرموز والكتابات بالكنوز الدفينة المزعومة. ولا يرجع هذا الاعتقاد إلى عهد الجهل التي سبقت عصر النهضة الحديثة، بل هو قديم يتناقله الناس جيلاً بعد جيل، والدليل على ذلك أنّ الهمداني الذي عاش في القرن الرابع الهجري يروي في كتابه «الإكليل» أنّ أناساً دخلوا بيتاً قديماً مهجوراً «فإذا سرير عليه رجلٌ ميت، وإذا عليه ثياب مذهبة، وإذا هو على طنفسة ديباج مزينة بالذهب، وفي يده محجن من ذهب، وفي رأسه ياقوتة حمراء تساوي خراج الدنيا، وإذا لوح من ذهبٍ مكتوب فيه: بسم الله ربّ حمير، أنا حسّان بن عمرو القَيْل...»^(٣).

(٣) الهمداني، الإكليل ج ٨ بتحقيق نبيه أمين فارس، ص ١٢٦، وفيه روايات كثيرة مشابهة في «باب القبوريات».

ولم يجد مكتشفو العودين مَنْ يثقون به ليدهم على الكنز المسحور سوى أستاذ نقوش اليمن القديم محمود الغول، فدفعوا بهما إليه. وسرعان ما أدرك الرجل أنّ الكنز الحقيقي هو تلك الكتابة الغربية التي لم ير لها مثيلاً من قبل، ولم يلبث أن فاجأ المشاركين في ملتقى دراسات الجزيرة العربية السادس Seminar for Arabian Studies الذي عُقد في لندن في أيلول/ سبتمبر عام (١٩٧٢) بإطلاعهم على تفاصيل الاكتشاف الذي لم يخطر على بال أحدٍ منهم، وأبلغهم أنه يبذل قصارى جهده لفك رموز الخط والوصول إلى قراءة النصوص قراءةً صحيحة.

- قراءة الكتابات ودراساتها:

ثم روى (بيستون A.F.Beeston) للمشاركين في ندوةٍ عقدتها جامعة اليرموك الأردنية في كانون الأول/ ديسمبر عام (١٩٨٤) بمناسبة مرور عام على وفاة الغول خلاصة ما وجدته في ملفات الأستاذ الراحل، فقال إنّ الغول ظنّ أنّ أول الأمر أنّ تلك الكتابة هندية لأنها شبيهة بكتابة هندية منقوشة على سعف النخل، ولكنه سرعان ما أدرك أنها عربية جنوبية كتبت بما سمّاه «الخط المعيني اليدوي cursive Minaean»، ثم انتهى - قبيل وفاته - إلى أنها كتابة سبئية مدونة بخطّ جديد غير معروف. وأطلع (بيستون) المشاركين على المشكلات المختلفة التي يواجهها المتخصصون في هذا الشأن، ثم بيّن لهم أنّ النصين المكتوبين على العودين هما رسالتان تتألف كل منهما من (١٤) سطراً، وقدّم نقحرةً (transliteration) لهما وترجمةً لبعض الألفاظ والعبارات فيهما، واصفاً النقحرة والترجمة بأنهما غير مؤكّدين لأنّ تأكيدهما مرهون بتوفر مزيد من النصوص المماثلة^(٤).

(٤) انظر: (Beeston, A.F., Arabian Studies in Honour of Mahmoud Ghul,)

وقد أُضيف في ذلك العام (١٩٨٤) إلى العودين المذكورين (٢٥) قطعة خشبية منقوشة عُثر عليها في الموقع نفسه؛ أي في خربة السوداء، وصل ١٨ قطعة منها إلى متحف قسم الآثار بجامعة صنعاء. ووصف يوسف عبد الله - في مقالةٍ نشرها عام (١٩٨٦) - هذه القطع التي يغلب عليها الشكل الأسطواني بأنها متفاوتة في أحجامها وأشكالها ونوع خشبها، وذكر أن بعضها أصابه تلفٌ سبب ضياع أجزاء من الكتابة، وضمّن مقالته قراءة وتحليلاً لنصّ منقوشٍ على عودٍ من جريد النخل طوله (١٦) سم وقطره (٢,٥) سم^(٥)، كما نشر (ريكمانز J. Ryckmans) في العام نفسه أول دراسة باليوغرافية لبعض تلك النقوش^(٦). أما أول بحثٍ شاملٍ لما توفر من نصوص هذا الضرب الجديد من الكتابات على عشب النخل - وعددها آنذاك أربعون يتفاوت طولها بين (٥) سم و(٢٣) سم؛ وعرضها بين (٢,٥) سم و(٢,٧) سم - فقد تعاون الباحثان المذكوران مع (والتر مولر Walter Müller) على إنجازها، فصدر في كتابٍ يتضمّن دراسة (١٦) نقشاً بالفرنسية والعربية عام (١٩٩٤)^(٧). ثم تتالى اكتشاف المزيد من القطع الخشبية المكتوبة حتى زاد عددها اليوم على سبعة آلاف، منها (٦٠٠٠) في المتحفين الوطني والحربي بصنعاء، و(٨٠٠) في مكتبة ولاية (بافاريا) في (ميونيخ)، و(٣٠٠) في معهد المشرق في (لايدن) الذي عهدَ بدراسة مجموعته ونشرها إلى (ريكمانز ودروز A.J. Drewes). وظلّ ذوو الاختصاص - عرباً

(٥) عبد الله، يوسف: خط المسند والنقوش اليمنية القديمة، في: النقائش والكتابات القديمة في الوطن العربي. تونس ١٩٨٨، ص ٩٣-١٠٥.

(٦) انظر: Ryckmans, pp.185-199.

(٧) عنوان القسم العربي من الكتاب هو: نقوش خشبية قديمة من اليمن، ومختصر عنوانه بالفرنسية: TYA.

ومستشرقين - ينشرون ما يصل إلى أيديهم من تلك الكتابات في أبحاث متفرقة حتى طلع علينا (P. Stein) عام (٢٠١٠) ببحثٍ فاق - في حجمه ومحتواه - كل ما سبقه، إذ تضمّن دراسة مفصلة شاملة لـ (٢٠٥) من كتابات المجموعة المحفوظة في المكتبة البافارية. وهكذا غدونا الآن قادرين على تقديم إجابات مقبولة عن شتى الأسئلة المتصلة بهذه الكتابات: فما صلتها بنقوش المُسند؟ وما نوع الخط المستعمل لكتابتها؟ وبأيّ قلمٍ كُتبت؟ ومن كان يكتبها؟ وما مضمونها وموضوعاتها؟ وكيف يبدو معجمها؟ وما زمنها؟ وبأيّ لغةٍ أو لهجةٍ صيغت؟

- الزبور في كتب التراث^(٨):

لقد أسهم ورود الفعل zbr «زَبَرَ» بمعنى «كتب، وقّع» في نهاية عددٍ من هذه النقوش في إرشاد الباحثين إلى الرابط بينها وبين نقوش المسند المعروفة، ذلك أن «زَبَرَ» ومشتقاته يقترن ذكره غالباً باليمن أو بحمير في المصادر اللغوية والأدبية، فمن شواهد هذا البيت الذي رواه الهمداني منسوباً إلى عمرو بن تَبَع:

زَبَرْنَا فِي ظَفَارِ زُبُورٍ مَجْدٍ فَيَقْرُوهُ قُرُومُ الْقَرِيَّتَيْنِ^(٩)
وقول أبي ذؤيب الهذلي:

عَرَفْتُ الدِّيَارَ كَرَقَمِ الدَّوَاةِ يَذْبِرُهَا الكَاتِبُ الحَمِيرِي^(١٠)
وقال الهمداني وهو يذكر نَسَابَ الشَّامِ والعِرَاقِ: «وامتنعتُ عليهم أنسابُ

(٨) واضح أن المقصود هنا خط الكتابة عند اليمنيين وليس كتاب (الزبور) الذي هو أحد الكتب الساموية. [المجلة] (*).

(٩) الإكليل ٢٩ / ٨.

(١٠) البيت في: ابن دريد، جهرة اللغة: ٢٥٠ / ١، والرواية فيه بالذال وبالزاي. وانظر: AI-Selwi, p.91، ويلاحظ أن هذا الفعل ورد في كتابات الزبور. بالوجهين أيضاً، انظر:

ولد الهميسع إذ كانت مزبرةً في خزائن حمير^(١١)، كما أشار في موضع آخر إلى «بعض زُبر همدان القديمة»^(١٢). وقد استنتج الباحثون من هذه الشواهد وغيرها أنه كان للخط العربي الجنوبي الذي عرفه اليمينيون قبل الميلاد ضربان: «أحدهما: المُسند؛ وهو خط تذكاري (Monumental) يُكتب به على الحجارة جلائل الأشياء ونذور المعابد؛ والآخر: الزبور؛ وهو خط سريع (cursive)، تحريره فيه خفة وتكتب به المراسلات والمعاملات على عيدان الخشب وما شابه ذلك»^(١٣). ولا شك أن قول امرئ القيس:

لَمِنْ طَلَّلْ أَبْصَرْتُهُ فَشَجَانِي كَخَطِ الزَّبُورِ فِي الْعَسِيبِ الْيَمَانِي
وَقَوْلِ لَبِيدٍ فِي مَعْلَقَتِهِ:

وَجَلَا السَّيُولُ عَنِ الطَّلُولِ كَأَنَّهَا زُبُرٌ تُجِدُّ مَتَوْنَهَا أَقْلَامُهَا
وقول الشاعر الجاهلي عبد الله بن العجلان:

عَاوَدَ عَيْنِي نَصْبُهَا وَغُرُورُهَا أَهْمٌ عِنَاهَا أَمْ قَذَاهَا يَعْوَرُهَا؟
أَمْ الدَّارُ أَمَسَتْ قَدْ تَعَفَّتْ كَأَنَّهَا زَبُورٌ يَمَانٍ رَقِشْتَهُ سَطُورُهَا؟^(١٤)

ورواية الهمداني عن أحدهم قوله: «أصبتُ قبراً باليمن فيه حجرٌ منقوش؛

(١١) الإكليل للهمداني، ج ١٠ ص ٣٠ بتحقيق محب الدين الخطيب.

(١٢) الإكليل ج ٢ بتحقيق محمد بن علي الأكوخ الحوالي، ص ٢٠، وانظر شواهد أخرى في: Al-

Selwi, p.103، و: W.W.Müller, in: TYA, pp.35-39، و: خط الزبور اليماني

والنقوش الخشبية ليوسف عبد الله، في: نقوش خشبية قديمة من اليمن، تأليف: جاك

ريكمنز ووالتر مولر ويوسف عبد الله، لوفان الجديدة ١٩٩٤، ص ٦-١٠.

(١٣) عبد الله: خط الزبور ١٩٩٤، ص ٧.

(١٤) بيت لبيد في: الزوزني، شرح المعلقات، ص ٢٠٧، وبيتا ابن عجلان في: الأصفهاني، الأغاني،

طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب بإشراف محمد أبو الفضل إبراهيم، ج ٢٢، ص ٢٤٠.

فزبرت كتابه في جريدة من النخل»^(١٥) يُراد بها هذا الضرب الثاني، لأن معظم النقوش المكتشفة منه مكتوبة - كما ذكرنا - على عشب النخل. ولذا فإن المصطلحين العربيين الدقيقين في هذا الشأن هما: «نقوش المسند» لما كُتِب بالضرب الأول من الخط؛ و«كتابات الزبور» لما كُتِب بالضرب الثاني، فيكونان بذلك موافقين التقسيم الثنائي الذي ذكره المتقدمون، كقول أحدهم:

وأغنيتمو عن مُسند الحميِّ حميرٍ وما زبرت في الصحف أقيال حمير^(١٦)
وقول الآخر:

قد كتبنا مسانداً في ظفارٍ وكتبنا أيا منا في الزبور^(١٧)
وكذلك حديث الهمداني عن هذين الضربين بقوله: «زُبر حمير القديمة، ومساندها الدهرية»^(١٨).

- أدوات الكتابة:

وتختلف أدوات الكتابة المستعملة في كلٍّ منهما، فأما نقوش المسند فإنها تُحفر على الحجر أو المعدن بأداة معدنية حادة الطرف كالإزميل مثلاً؛ وأما كتابات الزبور فإنها تُنقش على عشب النخل - غالباً - أو على أعواد من خشب العرعر بقلم معدني مُذَبَّب الطرف أو بقلم خشبي يُثَبَّت على طرفه قطعة معدنية

(١٥) الإكليل ١٤٧/٨.

(١٦) رواه السيوطي في: المزهري: ٢/٣٤٦-٣٤٧، وهو من أبيات لرجلٍ من «دومة الجندل».

(١٧) نسبه نشوان الحميري إلى «أسعد الكامل»، انظر: ملوك حمير وأقيال اليمن (القصيصة الحميرية وشرحها) لنشوان بن سعيد الحميري، بتحقيق علي المؤيد وإسماعيل الجرافي، ص ١٢٨.

(١٨) الإكليل للهمداني، ج ١ بتحقيق محمد بن علي الأكوخ، القاهرة ١٩٦٧، ص ١٣. وينبغي هنا التنبيه إلى أوجه الاختلاف البيئية من حيث اللغة والمضمون والأسلوب بين نقوش الزبور والنصوص المكتوبة بـ«لسان حمير» أو «الحميرية» كما سنرى.

مُذَبَّبة فيشبه بذلك القلم الذي يُوصف في كتب التراث بأنه أنبوبٌ من القصب يُبرى أحد طرفيه ويُشَقُّ شقاً خفيفاً ليكون له سنّان يدخل الحبر بينهما، ويكتب به - بعد أن يُغمس في الحبر - على الرقّ أو على عسيب النخل بعد أن يُدهن بالزيت أو بالشمع. غير أنّ قلم كتابات الزبور يُغمس طرفه المُذَبَّب بمادة لزجة أو شحمية ملوّنة لتثبيت الحروف الغائرة في العسيب أو في الخشب. وقد عُثر على خمسة من تلك الأقلام في منطقة الجوف؛ اثنان منها من العاج طول أحدهما (١٤,٥) سم؛ وطول الآخر (٧,٧) سم؛ وثالثٌ من البرونز طوله (٨,٥) سم؛ ورابع من الحديد طوله (١١,٢) سم؛ والخامس من الخشب طوله (٧,٧) سم وفي طرفه قطعة معدنية مُذَبَّبة^(١٩). ومع أنه لم يرد اسمٌ لهذا القلم في نقوش المسند أو الزبور فإنّ المرجح أنه كان يُسمّى «المزبر» على وزن اسم الآلة «مفعل»، ويشهد لذلك روايةٌ فحواها أنّ أبا بكر الصديق رضي الله عنه «دعا في مرضه بدواةٍ ومزبر؛ فكتب اسم الخليفة بعده، والمزبر: القلم»^(٢٠).

ويظهر أنّ كتبة متخصصين هم الذين كانوا يزبرون النقوش بذلك المزبر، والأدلة على ذلك متعدّدة، منها أنّ وجود مجموعة من «التدريبات الكتابية» ضمن هذه النقوش يُشير إلى أسلوبٍ لتعليم الكتابة^(٢١)، ومنها أنّ النقوش المصوغة على شكل رسائل يُخاطب فيها الآخرون تستعمل - في الأعم الأغلب - ضمير الغائب ولا تستعمل ضمير المتكلم إلا نادراً؛ فيقال مثلاً: «فلانٌ يُحييك»، مما يُشير إلى أنّ الكاتب يصوغ ما يُمليه عليه صاحب الرسالة، على أنّ وجود أخطاء كتابية

(١٩) انظر صورة للأقلام الخمسة وأخرى لأحد النقوش في نهاية البحث.

(٢٠) لسان العرب: زبر.

(٢١) انظر: Ryckmans 1994 a, in: TYA, p.14.

أحياناً يدلّ على أنّ بعض النقوش كتبها أناسٌ من غير المتخصصين^(٢٢).

- مضمون الكتابات:

وأما موضوعات ما نُشر من كتابات الزبور فإنها تختلف عن تلك المؤلفوة في نقوش المسند؛ ومردُّ ذلك إلى اختلاف هوية أصحاب هذه الكتابات، إذ يندر أن يجد المرء بينهم ملكاً أو مكرّباً أو قبيلاً أو ذا لقبٍ أو رتبة^(٢٣)، ولذا فإن هؤلاء الأشخاص - وهم من عامة الناس - يتحدثون في هذه النقوش عن شؤونهم التي تهمهم وعن معاملاتهم القانونيّة والتجاريّة أو الماليّة مع الآخرين؛ ويصوغون ذلك - غالباً - في رسائل شخصيّة أو في نصوصٍ بشكل صكوكٍ والتزامات وحسابات وسندات - مذيّلة غالباً بتوقيعهم - تبين ما لهم وما عليهم، وإليك عرضاً موجزاً لمضمون كلا النوعين^(٢٤):

أ- الرسائل: وهي من أخٍ إلى أخيه يطلب منه ضمان إطلاق ناقةٍ مرهونة لدى أحدهم (النقش ٥)، ومن شخصٍ يُرسل مولى له إلى آخر طالباً ضمان حمايته (النقش ٦)، ومن آخر يطلب من المرسل إليه أن يعود ببعض السلع كالسمسم والطحين والملح والعدس (النقش ٧)، ومن رجلٍ يطلب ممن يخاطبه مراجعة كشف حساب (النقش ٩)، ومن مالكٍ أرضٍ يُثبّت لمن اشترى قسماً منها حقوقه (النقش ١٤)، ومن جماعةٍ يطلبون ممن يرسلونه أن يقدم ذبائح

(٢٢) Stein 2010, Band 10, p.38.

(٢٣) ورد في نقوشٍ مصوغة بشكل رسائل ذكر «ملك سبأ» و«ملك هرم» و«ملك نشان»، انظر: Stein pp.486, 380, 2010، و: محمد المرقطن، النقوش الخشبية القديمة، في: حوليات يمنيّة، المعهد الفرنسي للآثار، صنعاء ٢٠٠٣، ص ٣٧.

(٢٤) النقوش المشار إليها هنا وفي الفقرات التالية هي من كتاب: نقوش خشبيّة قديمة من اليمن (TYA)، إلا إذا ورد خلاف ذلك.

للإله وأن يتبادل معهم سلعاً بالمقايضة (النقش ١٥).

ب - النصوص القانونية والاقتصادية: وتشمل واحداً بإيداع كمية من القمح لدى أحدهم لدرسها ثم إعادتها (النقش ١٠)، وآخر بتبادل حصّة مياه السقاية بين فريقين في أوقات مختلفة من السنة (النقش ١١)، وثالثاً بضمان نقديّ للمعبد في دينٍ مستحق (النقش ١٢)، ورابعاً بتحويل مبلغ من المال ثمناً لسلعة (النقش ١٣)، وخامساً بتسليم كراءٍ أجره جمل (عبد الله ١٩٨٨)، وسادساً بشروط مشاركة بين رجلٍ وامرأة لرعاية ثلاث شياهٍ مرضعات وما يناله كلٌّ منهما من صوفها وصغارها (عبد الله ١٩٩٤).

غير أن بعض النقوش لا يندرج ضمن النوعين المذكورين اللذين يهيمنان على معظم الكتابات المنشورة^(٢٥)، فقد أشرنا - فيما سبق - إلى نوعٍ ثالث هو «التدريبات الكتابية»، وثمة مجموعة من النقوش لا تحوي سوى قوائم بأسماء أشخاص أو قبائل وبطون^(٢٦)، وقد يكون المراد بها تحديد عدد الأشخاص الذين يُكَلَّفون بأعمال السخرة من فئات اجتماعية مختلفة^(٢٧)، أما النوع الخامس - وهو الكتابات الدينية - فما يزال عدده قليلاً^(٢٨).

(٢٥) عدد نقوش هذين النوعين في المجموعة المنشورة من مكتبة بافاريا هو ١٦٠؛ أي نحو ٨٠٪.
 (٢٦) ثلاثة منها (٢+٣+٤) في TYA، وأحدها (النقش ٤) يتضمن أعداد الأشخاص من كل قبيلة وبطن، أما عددها في المجموعة البافارية فهو ٩ نقوش، انظر: Stein, p.36.
 (٢٧) Ryckmans 1994 a, p.11، ويرى بعضهم أنّ هؤلاء الأشخاص «كانوا يقومون بمهمة معيّنة في الدولة أو المعبد أو الجيش أو أعمال السخرة»، النقوش الخشبية للمرقطن ص ٣٥.
 (٢٨) نقش واحد وفيه استعطافٌ للإله «المقه» (النقش ١٦) في مجموعة TYA، و ٧ نقوش في المجموعة البافارية Stein 2010, p.40.

- لغتها وأسلوبها:

وقد أثر مضمون النقوش في معجمها اللغوي، فيجد المرء هنا ألفاظاً لا تعرفها نقوش المسند، نحو: 'mfr (١ / ١١) و qdmt (٥ / ١١) وهما مقياسان لتوزيع المياه، و tbyt (١ / ٩) «إخبارٌ، إعلامٌ»، و lk (٤ / ١٤) «لكٌ، صمغٌ»، و 'lṭm (٥ / ٩) جمع «لطيمة» وهي العير تحمل الطيب وبز التجارة، و mb (٧ / ١٥) «سيدٌ، محترمٌ»، و dḥb «مكيال» و qrf «حقل زراعي» و rwd «زودٌ، وردٌ سلعة» (Stein, pp. 722, 729, 730). وقد تكون الألفاظ معروفة ولكن دلالاتها هنا مختلفة، كاستعمال qnt (١٠ / ١٠) و sl (٦ / ١٥) اسمين لمكيالين في حين أن الأول مقياس وزن والثاني وحدة نقد في السبئية؛ و škr «غرامة» و flg «حرث» (Stein, pp. 731, 723)، أو يجد ألفاظاً جديدة مشتقة من ألفاظ معروفة؛ كاشتقاق sb't (٧ / ٧) و m'sr (٥ / ٧) - وهما اسمان لمكيالين - من: sb't «العدد سبعة» و šrt «العدد عشرة»، واشتقاق المضارع ytsyn مع مصدره syt (١٢ / ١، ٦) «يضمن ضماناً» من wsy، و mḥmr (Stein, p. 725) «إذنٌ، تفويض» من ḥmr، و twtq (Stein, p. 734) «توثيق».

كما أثر المضمون في أسلوبها، فإذا كانت نقوش المسند تكاد تخلو من صيغ الخطاب لأنها مصوغة بضمير الغائب فإن بعض كتابات الزبور جاءت - كما رأينا - على شكل رسائل، ولذا فهي غنية بهذه الصيغ، ففيها ضمائر الخطاب المنفصلة: 't (٣ / ٥) و nt (٢ / ٦ و ٣ / ١٤) «أنت» و ntmw (٣ / ٨) «أنتم»؛ وفيها ضمائر الخطاب المتصلة، فمن شواهد اتصالها بالأسماء: ḥk (٢ / ٥) «أخوك» و bnk (٤ / ٩) «ابنك» و gyrk (٤ / ١٤) «غيرك» و grmk (٤ / ٨) «شخصك» و mb'lk (٧ / ١٥) «حضرتك» و bytkm (٣ / ٩) «بيتكم»؛ وبالحروف والظروف:

lk (١٤/٣، ١٥/٤) «لَكَ» وlyk (٢/١٣) «عَلَيْكَ» وlkmw (٣/٧ و ٢/٨) «لَكُمْ» وbrnkmw (٣/٧) «نَحُوكُمْ»؛ وبالأفعال: ykrbnk (٢/١٥) «يَبَارِكُكَ» وkrbnkmw (٢/٩) «بَارِكُكُمْ» وyhmdnkmw (٣/٩) «يُرْعَاكُمْ». أضف إلى ذلك أسلوب الخطاب بفعل الأمر نفسه؛ نحو: shln (٣/٥) «اضْمَنْ» وwdn (٦/٧) «عُودْ؛ عُدْ»، في حين أن استعمال فعل الأمر في نقوش المسند ما يزال يحتاج إلى شواهد مؤكدة.

فإذا استثنينا هذه السمات المميّزة لكتابات الزبور فإنّ الظواهر الصرفية والنحوية لا تكاد تختلف عن تلك التي عرفناها في نقوش المسند، فلدينا هنا شواهد على أوزان الفعل (وتشمل: فَعَلَ وفَعَّلَ وفَاعَلَ وهفَعَلَ وتفَعَّلَ وافتَعَلَ واستفَعَلَ)، وعلى صيغة المصدر، وعلى المبني للمجهول، وعلى المضارع المنتهي بالنون؛ وعلى أسلوب الطلب بلام الأمر، وسواها.

- زمن كتابتها وخطها:

أما تحديد الحقبة الزمنية لهذه الكتابات فإنّه اعتمد في البداية على دراسة الخط المستعمل في كتابتها مع المقارنة بخط المسند، وهكذا تمكّن (ريكمانس J. Ryckmans) - بعد دراسة باليوغرافية لها استطاع الوصول إليه من مجموعة لايدن - من إرجاع أقدمها إلى القرن السابع ق.م^(٢٩). ثم استعان الباحثون بطريقة أخرى لهذا الغرض هي استعمال الكربون المشعّ (14 carbon) في تحليل بعض القطع الخشبية المكتوبة، حيث أجرى (M. Macdonald) وآخرون تحليلاً لست من قطع مجموعة لايدن ثم - بعد بضع سنوات - لثلاثين قطعة من المجموعة نفسها

فكانت النتيجة تأكيداً لما انتهى إليه ريكمانز^(٣٠). ولكن التاريخ الدقيق وفقاً لتقويم زمني معروف لم يرد إلا في ستة نقوش من المجموعة البافارية ونقش واحد من مجموعة لايدن، وكلها مؤرخ بالتقويم الحميري^(٣١)، لأن الأسلوب الشائع في كتابات الزبور هو التاريخ وفقاً لتقويم الأشخاص (System of Eponyms) - المؤلف في نقوش المسند أيضاً - فيقال مثلاً: «في شهر كذا من سنة فلان من آل فلان/ أو من القبيلة الفلانية». وإذا كان هذا الضرب من التاريخ يُفيد في استكمال السلالات الحاكمة الواردة في نقوش المسند، فإنه لا يجعل تحديد زمن النقوش ممكناً إلا إذا كان زمن الأشخاص المذكورين فيها معروفاً من المصادر الأخرى، ولذا يلجأ المرء إلى الاستعانة بوسائل مساعدة، وأهمها ثلاث:

أ- المقارنة بتقويم الأشخاص في نقوش المسند للاستفادة من أسماء الأشخاص فيها إذا كان زمنهم معروفاً: فقد أُرخ أحد النقوش بعام «تبع كرب ابن معدي كرب» (عبد الله ١٩٨٨) الذي يرد اسمه في أحد نقوش المسند، ويُقدّر تاريخه هناك بنحو عام ١٧٢م، فيكون تاريخ نقش الزبور استناداً إلى ذلك هو الثلث الأخير من القرن الثاني للميلاد، إذا افترضنا أن الشخص المذكور في كلا النقشين هو نفسه^(٣٢).

ب- الدراسة اللغوية والنحوية للنقوش: فثمة ظواهر تختص بها مرحلة زمنية دون سواها، فمن ذلك مثلاً كتابة العدد (٣) بالشين: š أو بالثاء: t

(٣٠) انظر: Stein 2010, p.45-46.

(٣١) أقدم نقوش المكتبة البافارية مؤرخ بعام ٤٨٠ وأحدثها بعام ٦٣٢ من التقويم الحميري، أما نقش مكتبة لايدن فهو مؤرخ بعام ٤٩٥ من التقويم نفسه، انظر: Ryckmans 2001, p.224.

(٣٢) انظر: خط المسند ليوسف عبد الله، ص ١٠٠-١٠١، وورد التأريخ نفسه في النقش ٣٢ من مجموعة المكتبة البافارية فأرجعه الناشر إلى نهاية القرن الثاني للميلاد، انظر: Stein, p.146.

فالصيغة الأولى ترد في المرحلة المبكرة؛ والثانية في المراحل التالية.

ج- الدراسة (الباليوغرافية)^(٣٣)(*) : لأن نوع الخط يساعد - كما ذكرنا - في تصنيف النقش ضمن مرحلة زمنية محدّدة، وتزداد أهمية الخط كلما اكتشف المزيد من كتابات الزبور؛ لأن ذلك يجعل نتيجة البحث في هذا المجال أقرب إلى الصحة. وقد اختار ريكمانز صاحب الدراسة من مجموعة لايدن - وهي غير منشورة - ومن المجموعة المنشورة عام ١٩٩٤ (TYA) وسواهما سبعين نقشاً فقط لأن صورها ونسخها هي الأكثر وضوحاً ليعقد مقارنةً بين عشرين من الحروف التي تتغيّر أشكالها في نصوصها المختلفة تغيراً واضحاً، فانهى - استناداً إلى المعيار (الباليوغرافي) وحده - إلى توزيعها على أربعة أدوارٍ تمثل تطوّر خط الزبور كما يلي:

١ - الدّور الأوّل أو دور المُسند: لأنّ الخط فيه قريبٌ جدّاً من خط المسند في مرحلته المبكرة، ولذا فإنّ الحروف هنا تفتقر إلى الانتظام، والوضع العمودي، والتناسق الدقيق، وثبات الشكل، على النحو الذي نجده فيما بعد في خط المسند الكلاسيكي. وهذا يعني أنّ خط الزبور نشأ متأثراً بخط المسند، ثم سلك كلّ منهما سبيله الخاص به ليتطور مستقلاً عن الآخر طوال ألف عام.

٢ - الدّور الثاني أو الدّور الانتقالي من الخط القريب من المسند إلى خط الزبور: ومع أنّ أشكال الحروف ظلّت في هذا الدور قريبة من نظائرها في خط المسند فإنّها تحوّلت تدريجياً في مراحلٍ أربعٍ متتالية إلى أشكالٍ مستقلة ستُميّز خط الزبور في الدّورين التاليين.

٣ - الدّور الثالث: ويُمثل بداية الظهور الواضح لخط الزبور، والصفة الغالبة على الحروف في هذا الدور هي أنها أصغر حجماً من نظائرها في الدورين

(٣٣) الباليوغرافية: دراسة الكتابات والنقوش القديمة [المجلة] (*).

السابقين، وذات زوايا تصل بين أجزائها.

٤ - الدّور الرابع: ويعود معظم النقوش السبعين موضع البحث إلى هذا الدّور، حيث تغدو فيه الحروف ثابتة واضحة المعالم^(٣٤).

وأهمّ ما يلاحظه المرء في هذا التقسيم الزمني القائم على المعيار (الباليوغرافي) هو أنّ الباحث لم يستطع تحديد الحقب الزمنية للأدوار والمراحل. ومردّد ذلك - عنده - إلى أمرين؛ أحدهما: عدم معرفتنا الممدد الزمنية لعهود الحكام الواردة أسماؤهم في النقوش أو لأولئك المذكورين في تقويم الأشخاص؛ والآخر: تطوّر خط الزبور تطوّرًا مستقلاً عن خط المسند^(٣٥).

- تصنيفها اللغوي:

فإذا انتقلنا إلى التصنيف اللغوي فإننا نجد أنّ معظم كتابات الزبور هي عند الباحثين سبئية، ويشمل ذلك النقوش الستة عشر المنشورة عام ١٩٩٤ (TYA)؛ ونقشّي محمود الغول؛ ونقشّي يوسف عبد الله (عبد الله ١٩٨٨ و Abdallah 1994)، ومعظم النقوش في المجموعة البافارية^(٣٦)، ونقوشاً أخرى متفرقة^(٣٧)، في حين جعلت البعثة السوفيتية ما اكتشف في ريون حضرمياً^(٣٨). أما النقوش غير المنشورة فقد اكتفى (ريكانز) بالقول إنّ ستة من نقوش مجموعة لايدن معينية؛

(٣٤) انظر التفصيل في: Ryckmans 2001.

(٣٥) Ibid, p. 226.

(٣٦) ذكر Stein أنّ جميع النقوش المنشورة منها - وعددها ٢٠٥ - سبئية اللغة.

(٣٧) انظر: PSAS 2002, p.217-223, Weninger, و: Stein, p.9.

(٣٨) بلغ عدد النقوش الحضرمية التي اكتشفتها البعثة الأثرية السوفيتية في «ريون» حتى عام ١٩٩١ زهاء ٢٢ نقشاً تعود إلى الفترة بين القرنين ٥ - ٣ ق.م، انظر: Frantsouzoff, in

Stein, p.24, و: Ryckmans 2001, p.231, PSAS, 1999, p.55-65.

ورجَّح أن يضاف إليها نقشان آخران^(٣٩)، على حين وعد Stein ناشر مجموعة بافاريا بنشر الكثير من النقوش المعينية - دون أن يُحدّد عددها - في الجزء الثاني من دراسته، ولم يُشر إلى وجود نقوش قتبانية في هذه المجموعة أو في سواها البتة^(٤٠). ومن المسلمّ به أن المعيار اللغوي هو الأصل في التصنيف بشرط أن تكون السّمات اللغوية والنحوية في النقش واضحةً إلى الدرجة التي تسمح بتحديد لغته: أهى سبئية أم غير ذلك؟ وإلا لجأنا إلى معايير أخرى؛ منها:

أ- أسماء الآلهة: فورود اسم الإله «المقه» مثلاً في النقش يدلُّ على أنّه سبئيٌّ، لأنّه لا يرد إلا في النقوش السبئية.

ب- أسماء الحكام أو الأشخاص أو القبائل: إذا حدّدت مصادرُ أو نقوشُ أخرى هويّتهم وانتماءهم إلى سبأ أو إلى سواها.

ج- موقع اكتشاف النقش: فالغالب أن تكون لغة النقش هي لغة الدولة التي ينتمي إليها ذلك الموقع إلا إذا كان في النقش نفسه ما يشير إلى سواها، ولذا كانت النقوش المكتشفة في موقع ريبون الحضرمي - مثلاً - حضرمية.

- نصوصها:

ويُستحسن - قبل اختتام البحث - أن نقدّم نموذجين يمثلان النوعين الغالبين لهذه الكتابات في أسلوبها ومضمونها، أي: الرسائل والنصوص القانونيّة الاقتصادية، وأحدهما: هذه الرسالة الإخوانيّة (النقش ٥ من مجموعة TYA)، وهي في سبعة أسطر قصار، وهذا نصّها بطريقة النقحرة^(٤١) transliteration:

1) 'br drhm dš- 2) ḥbm 'mn 'hk 3) 'hl w't shln 4) l fr'n nq- 5) thw

(٣٩) انظر: Ryckmans. 1994 b, in: Arabia Felix, p.252. و: Ryckmans, 2001, p.231.

(٤٠) Stein 2010, p.54.

(٤١) النقحرة هي نقل حروف لغة إلى لغة أخرى بأصواتها [المجلة] (*).

[dbrhn ḏh- 6) rn b'lhwh wzb- 7) r].

[إلى «ذرح» من عشيرة ذي صاحب من أخيك «عهل»، وأنت تكفل بالمال الواجب على «فرعن» في ناقته المرهونة لدى سيده «ضهرن». زَبَرَ (هذه الرسالة) فلان].

والآخر: هذا النص ذو المحتوى القانوني الاقتصادي (النقش ٥٧ من المجموعة البافارية):

1) 'Šr blṭm rḏym ḏyts- 2) yn hhy'tt ḏhḏrn lrtḏ- 3) 'l ḏqšbn bn mdly
b'ly- 4) hw lmr'hw mlkn bhṛf 5) 'bkrb bn ḥywm bn ḥzfr- 6) m ṭnyn wmyr
bdn wrqm 7) 'krm lḏhḏrn hhy'tt.

[عشر قطع من النقود الصحيحة يقدمها ضمناً «هحي عث» من عشيرة «حضرن» لـ «رثد إل» من عشيرة «قشبن» من المبلغ المدين به لسيده الملك، في السنة الثانية من تقويم «أب كرب» بن «حيوم» من «حزفرن»، فلبى بهذا المال رغبة رجل من عشيرة «حضرن». التوقيع «هحي عث»].

- الخاتمة:

ونستطيع أن نستنبط من هذا العرض الموجز لكتابات الزبور نتائج هامة: أولاًها: أن الخط المستعمل في كتابتها يشترك مع خط نقوش المسند في الأصل والمنشأ، ولكن أشكال الحروف فيها تباعدت قليلاً أو كثيراً لسبيين؛ أحدهما: اختلاف مواد الكتابة وأدواتها؛ والآخر: تطور كل منهما مستقلاً عن صاحبه طوال ألف عام.

والثانية: أن لغتها هي لغة نقوش المسند نفسها، فهي مكتوبة بالسبئية غالباً أو بإحدى اللهجات الأخرى المعروفة، والمعجم اللغوي هنا وهناك واحد، أما السمات اللغوية والنحوية المميزة لها فمردّها إلى مضمون النقوش وموضوعاتها.

والثالثة: أن مضمونها ليس جديداً كل الجدة، فقد وردت بعض الموضوعات بإيجاز في بعض نقوش المسند، غير أنها هنا أعم وأغنى وأكثر تفصيلاً. والرابعة: أن الأسلوب في كتابات الزبور جديد تماماً؛ فأسلوب الرسائل^(٤٢) وأسلوب الصكوك والمستندات القانونية والتجارية هما شكلان جديدان لم يكونا معروفين في نقوش اليمن القديم من قبل.

والخامسة: أن النصوص المكتوبة بـ«الحميرية» تختلف - كما سنرى - من حيث اللغة والأسلوب والمضمون عن كتابات الزبور، ولذا يُفضّل عدم استعمال مصطلح «زُبُر حمير» الذي وضعه القدامى لثلا يقع الخلط بين هذين الضريين. وبالجمله فإن كتابات الزبور ونقوش المسند هما - من حيث الخط واللغة والمحتوى - فرعان لأصل واحد هو «العربية الجنوبية القديمة Old south Arabic»، ولا يمكن أن نعدّهما أصليين متباعدين أو لغتين مختلفتين إلا إذا قام الدليل على ذلك بعد نشر الآلاف السبعة من كتابات الزبور^(٤٣)، لأن بحثنا هذا يستند إلى المنشور منها وهو لا يتجاوز ٢٥٠ فحسب!

ولا بدّ في الختام من الإشارة إلى نقش المسند RES 3566 الذي ينصّ على أنّ ملك قتيان أمر بكتابه على الحجر وعلى الخشب أيضاً ومهّره بتوقيعه؛ مما جعل بعضهم يفترض أنّ كتابات الزبور كانت تحفظ في أرشيف رسمي^(٤٤)، ولعلّ كثرة هذه النقوش وتوزّعها على حقبة زمنيّة تتجاوز ألف عام يعزّزان هذا الافتراض. (للبحث صلة)

(٤٢) انظر عرضاً لأسلوب الرسائل ومضمونها في: النقوش الخشبية للمرقطن، ص ٣٦-٣٩.

(٤٣) قيل: إنّ الكثير منها مزيف؛ انظر: النقوش الخشبية للمرقطن، ص ٣١-٣٢، و: Stein, p.52.

(٤٤) انظر: Ryckmans 1994 a, p.7.



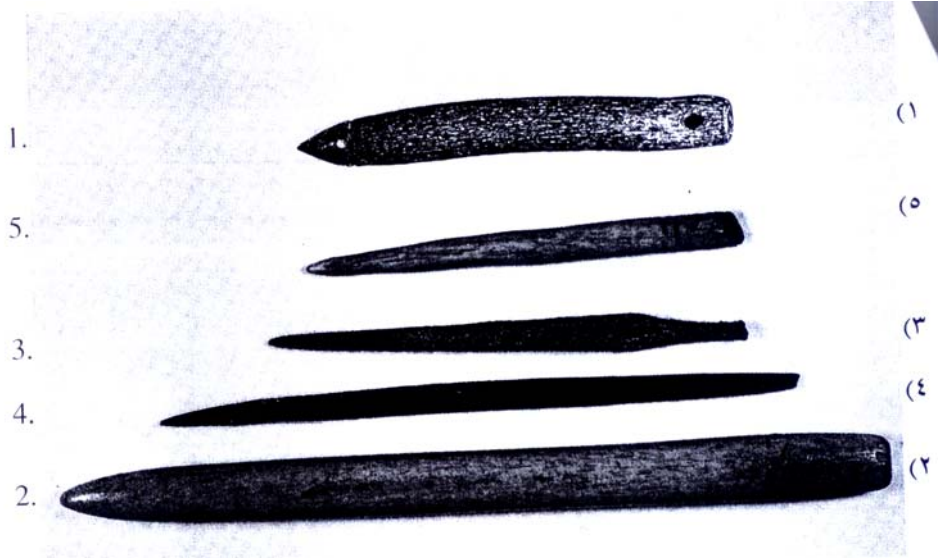
- | | |
|----------------------|-----------------------|
| (٢) هرم (همدان)، | (١) قرنو (خربة معين)، |
| (٤) نشن (السوداء)، | (٣) كمنهو (كمننا)، |
| (٦) يثل (براقش)، | (٥) نشق (البيضاء)، |
| (٨) عررتم (الأساحل)، | (٧) كتل (سعود)، |
| (٩) مأرب | |

وادي الجوف

(Ch.Robin: Inventaire des Inscriptions sudarabiques, Tome 1, 1992)

جدول الرموز المستعملة في النقحرة transliteration

ص	ṣ	أ	ʾ
ض	ḍ	ث	ṯ
ط	ṭ	ح	ḥ
ظ	ẓ	خ	ḫ
ع	ʿ	ذ	ḏ
غ	ġ	ش	š



أدوات الكتابة:

- ١ - مقبض خشبي برأس رصاصي مخروطي الشكل، في طرفه الثاني ثقب نافذ، طوله: (٧,٧) سم، قطره: (٠,٨) سم.
- ٢ - قلم من العاج مُذَبَّب أحد طرفيه، طوله (١٤,٥) سم.
- ٣ - قلم من البرونز مُذَبَّب أحد طرفيه، طوله (٨,٥) سم.
- ٤ - قلم من الحديد مُذَبَّب أحد طرفيه، طوله (١١,٢) سم.
- ٢ - قلم من العاج مُذَبَّب أحد طرفيه، طوله (٧,٧) سم.

المصدر: نقوش خشبية ص ٨٢

المصادر والمراجع

أولاً - بالعربية:

- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن: الجوهرة في اللغة، القاهرة ١٩٧٠.
- ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، بيروت ١٩٦٦
- الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب بإشراف محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٧٠ - ١٩٧٤.
- الزوزني، أبو عبد الله الحسين: شرح المعلقات السبع، بتحقيق محمد علي حمد الله، دمشق ١٩٦٣
- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين: المزهرة في علوم اللغة، بتحقيق محمد جاد المولى ورفيقه، القاهرة ١٩٥٨
- عبد الله ١٩٨٨: يوسف عبد الله: خط المسند والنقوش اليمنية القديمة؛ دراسة لكتابة يمنية قديمة منقوشة على الخشب (في: النقائش والكتابات القديمة في الوطن العربي، بإشراف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ١٩٨٨).
- عبد الله ١٩٩٤: يوسف عبد الله: خط الزبور اليمني والنقوش الخشبية (في: نقوش خشبية قديمة من اليمن، تأليف: جاك ريكمنز ووالتر مولر ويوسف عبد الله، لوفان الجديدة ١٩٩٤).
- المرقتن، محمد: النقوش الخشبية القديمة (في: حوليات يمنية، المعهد الفرنسي للآثار، صنعاء ٢٠٠٣).

- نشوان بن سعيد الحميري: ملوك حمير وأقيال اليمن (القصيصة الحميرية وشرحها)، بتحقيق علي المؤيد وإساعيل الجرافي، صنعاء ١٣٧٨ هـ.
- الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب: الإكليل: ج ٢ بتحقيق محمد بن علي الأكوغ الحوالي، القاهرة ١٩٦٧، ج ٨ بتحقيق نبيه أمين فارس، بيروت، د.ت (مصحّرة عن طبعة ١٩٤٠)، ج ١٠ بتحقيق محب الدين الخطيب، القاهرة ١٩٤٨

ثانياً- باللغات الأجنبية:

- Abdallah, Y: Ein altsüdarabischer Vertragstext von den neuentdeckten 1994 Inschriften auf Holz; in: *Arabia Felix*, pp. 1-12.
- Arabia Felix: Nebes, N. (Hrsg): Festschrift Walter Müller zum 60 Geburtstag, Wiesbaden 1994.
- Beeston, A.F: Mahmoud 'Ali Ghul and the Sabaean Cursive Script, in: *Arabian Studies in Honour of Mahmoud Ghul*. Wiesbaden 1989. pp.15-19.
- Frantsouzzoff, S: Hadramitic documents written on palm-leaf stalks, in: *PSAS* 1999, p.55-65.
- Müller, W.W: L'écriture zabur du Yémen pré-islamique dans la tradition arabe, in: *TYA*, p.35-39.
- PSAS: Proceedings of the Seminar for Arabian Studies
- Ryckmans, J.: Une écriture minuscule sud-arabe antique récemment, 1986 découverte in: Vanstiphout HLJ et al: *Scripta Signa Vocis: Studies Presented to J.H. Hospers*. Groningen 1986, p.185-199.
- Ryckmans, J.: A general report on the documents written on wood 1994a and on the contents of the present collection, in: *TYA*, p.7-15.
- Ryckmans, J.: Pétiotes de palmes et batonnets sud-arabes inscrits:

- 1994b notes de paléographie , in: *Arabia Felix* , p.250–259.
- Ryckmans, J.: Origin and evolution of South Arabian minuscule 2001 writing on wood, in: *Arabian archaeology and epigraphy* 12, 2001, p.223–235.
 - Al-Selwi, I.: Jemenitische Wörter in den Werken von al-Hamdani und Našwan und ihre Parallelen in den semitischen Sprachen. Berlin 1987.
 - TYA: Ryckmans J., Müller W.W. and Abdallah Y. Textes du Yémen antique inscrits sur bois. Louvain-la-Neuve 1994.
 - Stein, P.: Die altsüdarabischen Minuskelinschriften auf Holzstäbchen aus der Bayerischen Staatsbibliothek in München. Berlin 2010.
 - Weninger, S.: More Sabaic minuscule texts from Munich, in: *PSAS* 2002, p.217–223.

* * *